

الأوضاع الاقتصادية عند نشأة سلالة أور الثالثة في العراق القديم

سناء محمد رشيد
كلية التربية للبنات - جامعة بغداد
العراق

الخلاصة

يعتبر اورنمو هو مؤسس سلالة أور الثالثة (2113-2095 ق.م) ويجمع الباحثون على إن قوانينه هي أقدم النصوص القانونية المكتشفة في مدينة نمر. عالجت شريعته المكونة من 31 مادة عدد من حقوق المرأة المتزوجة و المطلقة و مسالة الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وارث ومعالجات لأحوال العبيد و حالة هروبهم و عتقهم وانه وطمأ أمر العدالة و رفع الظلم و البغضاء.

المقدمة

تمكن أورنمو من حكم سلالة أور الثالثة بعد القضاء على (أوتو - حيجال) - يعني اسمه محارب الإلهة نمو - وأستطاع إخضاع الكثير من المدن السومرية والأكدية، فلقبوا أنفسهم بلقب (ملك سومر وأكد) و(ملك الجهات الأربعة) ؛ وإن ظل الأخير شرفياً ؛ وليس فعلياً بالرغم من جهودهم في سبيل توسيع حدودهم ؛ واعتراف آشور في الشمال بنفوذهم ؛ كما أقام أهل (أشنونا) معبداً في مدينتهم نسبوهم لملك أور (شو - سن). قام أورنمو في السنوات الأولى من حكمه ببسط سيطرته على جنوب بلاد النهرين، وأعاد العلاقات التجارية مع مجان (عمان) عبر الخليج العربي.

وهكذا حكم أورنمو مدينة أور وأريديو والوركاء وأقام عدة مبان في نيبور ولارسا وكيش، ولا يوجد دليل واضح على أنه شن حرباً ضد جيرانه ؛ ويبدو أنه تمكن من استقطابهم بالوسائل الدبلوماسية. وأهتم أورنمو بالعاصمة أور وأقام المعابد فيها وعلى وجه الخصوص معبد الإله (ننا = سن) وزوجته (نينجال)، كما اقترن اسمه ببناء الزقورات ؛ إضافة إلى اهتمامه إلى إعادة بناء ما تهدم من معابد الآلهة الأخرى. ولقد لقب ب (منظم العدالة) في سومر و أكد ، وابنه العاهل اوشكي لقب بملك العدالة الذي قدم نفسه باعتباره الذي جعل العدالة تسود طبقاً للقوانين(1).

أورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة

تولى أورنمو (2095-2112 ق.م) العرش في مدينة أور بعد أن تمكن من إزاحة اوتوحيكال حاكم الوركاء وانتقلت بذلك السلطة من مدينة الوركاء إلى مدينة أور كما ورد ذلك في جداول إثبات الملوك السومرية "ضربت الوركاء بالسلاح وانتقلت ملوكيتها إلى أور"، وقد استمر حكمه ثمانية عشر عاماً إذ سعى في سنوات حكمه الأولى إلى تثبيت سلطته وبسط نفوذه على بلاد سومر وأكد، وإعادة الأمن وحفظ النظام وتطهيرها من اللصوص وقطاع الطرق وإعادة الوحدة السياسية بعد طرد الكوتيين من البلاد. وقد ورد في أحد النصوص التي تتحدث عن حفر قناة أن الملك أورنمو قد اختاره الإله إنليل (d-Enlil) لاعتلاء عرش بلاد سومر وأكد، ومن أعماله أيضاً قيامه بهجوم على نامخاني (Nam-hani) حاكم مدينة لكش (Lagash) فقتله، ولم يكتف بذلك بل استمر ببسط نفوذه على بلاد سومر وأكد، وشملت حملاته أيضاً بلاد آشور (Ashur) في الشمال وبلاد عيلام (Elam) في الشرق، ومهد الطريق الممتد من الجهات السفلى إلى الجهات العليا ، أي أنه سار من البحر الأسفل (الخليج العربي) إلى البحر الأعلى (البحر المتوسط).

(1) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في وادي الرافدين و وادي النيل، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1985، ص133.

وقد تلقب أورنمو بلقب (shagan) عندما عين من قبل اوتوحيكال حاكما على أور. ويعتبر أورنمو أول مشرع في بلاد الرافدين إذ تم العثور على شريعته مدونة بالخط المسماري وباللغة السومرية، وتضم الشريعة ثلاثين مادة قانونية مع مقدمة يذكر فيها تفويض الإلهين انو (d-Anu) وانليل (d-Enlil) له لإرساء العدل وإزالة الظلم والعداوة في البلاد من خلال القضاء على المفاصد التي كانت سائدة في بلاد سومر وأكد (أبان حكم الكوتيين) وتثبيت المكاييل والموازيين والمقاييس، أما مواد الشريعة فقد ضمت الأحوال الشخصية وهروب الرقيق، والاعتداءات، وشهادة الزور والتجاوز على الأراضي الزراعية ومن الملاحظ أن هذه (الشريعة) قد أخذت بمبدأ الغرامة المالية بدلاً من القصاص (3).

بعد أن حارب أورنمو اوتوحيكال ملك اوروك وانتصر عليه وضم اليه أكثر المدن السومرية والاكادية ثم اكتفى أورنمو بتوحيد العراق بقسميه فلم يوسع فتوحاته نحو الاقطار المجاورة ولكنه صرف اهتمامه الى تشييد المعابد وقد ابتكر طريقة الزقورة العالية وهي بناء صلد من اللبن مغلف بالأجر يتألف من عدة طبقات يعلوها معبد صغير يسمى المعبد العلوي وبجانب سلالم الزقورة معبد آخر كبير يسمى بالمعبد السفلي ويحيط الكل فناء واسع حوله سور فيه حجرات. وقد بالغ أورنمو بالاهتمام بتشيد معبد الاله (ننا) الاله القمر في أور وخذ ذكرى تشييد هذا المعبد على مسلة من حجر كلسي بني اللون وجدت في أور. وقد قنن أورنمو الشرائع ليحكم بها البلاد بالقسطاس وتعتبر شرائعه من أقدم ما اكتشف من القوانين حتى الان. وبعد ان حكم أورنمو ثماني عشرة سنة خلفه ابنه شلكي (2093 – 2046 ق م) (4) .

الحياة الاقتصادية في عهد أورنمو

بعدما اتم أورنمو تحرير سومر وأسس السلالة الثالثة في اور(اسرة اور الثالثة) مدشنا بذلك ما يسمى أحيانا بالعصر السومري الحديث. أزهده حكم أسرة أور الثالثة في الفترة (2111 – 2003 ق م) حيث خضعت المدن السومرية جميعا تحت حكمه وسلطانه، بعد أن أستطاع الانتصار على ملك مدينة أوروك ومن بعدها مدينة لجش ومن بعدها المدن السومرية الأخرى وبعض المدن الاكادية الواقعة إلى الشمال من مدينة نيبور حتى ان وصلت سلطته بلاد بابل إلى الجزيرة العليا، فلعب الملك أورنمو في وقتها " ملك سومر واكد "، بدأ نشاطا معماريا واسعا في مملكته الموحدة في المدن السومرية والاكادية (5).

(3) أباذر راهي سعدون الزبيدي، نصوص مسمارية غير منشورة في المتحف العراقي من عصر سلالة اور الثالثة 2004-2114 ق.م، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، 2010، ص 67.

(4) فرج بصمه جي، كنوز المتحف العراقي، دار الحرية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بغداد، 1972، ص 10.

(5) أحمد هبو، تاريخ الشرق القديم، الجزء الثاني، بلاد ما بين النهرين (العراق)، صنعاء، 1996 ص 135.

أهم ما قام به الملك اورنمو في مدينة اور والارتقاء بها وازدهارها في تلك الفترة والتي تتلخص ببعض الإصلاحات الإدارية والإنجازات الاقتصادية ومنها :

1. قام بتشديد زقورة للالهة نانا في عاصمة دولته اور، والقيام بتشديد العديد من المباني وترميم ما تهدم من معابد الالهة في المدن السومرية المختلفة.

2. قام بتحسين المدينة التي تطل على نهر الفرات من جهاتها الثلاث.

3. اوصى بشق أفنية الري لإيصال مياه نهري دجلة والفرات إلى الاراضي الزراعية، وصيانة القديم منها مما ساهم بتطوير النشاط الاقتصادي والزراعي.

4. قام بأعاده تنظيم الامور السياسية في البلاد وذلك من خلال ترسيم ووضع الحدود الفاصلة بين المدن والأقاليم التي اختلطت بعد الفوضى التي قام بأحداثها الجوتيين. حيث قام بتحديد سلطة كل من الحكام المحليين وحكام المدن والأقاليم وتحديد مسؤوليات ادارتهم، وحل الخلافات والمنازعات المتعلقة بالاحياز البيئية المتعلقة بالاراضي ومصادر المياه.

5. قام بسن تشريعات قانونية تعد الأولى من نوعها في تاريخ بلاد ما بين النهرين والشرق الأدنى القديم بعامه، حيث اشتملت على تنظيم العلاقات بين افراد المجتمع من جهة وبين المعبد وبين القصر الملكي من جهة أخرى، ونصت الصيغة على منع الكهنة وكبار الموظفين من استغلال وظائفهم الدينية والحكومية لتحقيق السلطة والثراء على حساب الشعب، وتعتبر من أقدم القوانين التي تم الكشف عنه من القوانين حتى الآن كتبت باللغة المسمارية، حيث ان القانون كان يتألف من مقدمة تليه مواد قانونية ثم ينتهي بالخاتمة، وكانت المقدمة مخصصة للحديث عن اورنمو. تعالج المواد القانونية اثنتان وثلاثون قضية اقتصادية واجتماعية (6).

الأعمال العمرانية لأورنمو

أعمال أورنمو العمرانية لم تشمل مدينة أور فقط وإنما شملت مدن الوركاء (Uruk) ونفر (Nippur) واريديو (Eridu) وكيش (Kish) فقد أحاط مدينة أور بسور لحمايتها وقام ببناء معبد للإله ن نار-d) (Nannar) وزوجته نكال (d-Ningal) وبدأ بتشبيد زقورة لهما أطلق عليها (ur) والتي تعني معبد المصطبة الأساس المكسو بالرعب. وكيش مدينة سومرية تعرف بقاياها بتل الاحيمر وهي على بعد 16 كم شرق مدينة بابل وتذكر جداول الملوك أن الملوكية بعد الطوفان هبطت من السماء ومنها انتقلت إلى المدن الأخرى وبدأت فيها أولى التنقيبات عام 1912 من قبل بعثة فرنسية برئاسة Genouillac ولكن تنقيبات البعثة البريطانية - الأمريكية المشتركة في عام 1923 كانت الأشمل إذ استمرت لغاية عام 1933، وفي عام 1966 ساهمت هيئة الآثار مع المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو بإجراء مسح أثري لهذه المدينة والمناطق القريبة منها. واهتم أورنمو بحفر القنوات والأنهار وجداول الري ففي إحدى الوثائق ورد انه قام بحفر قناة كش داکو (kesz-da-ku) وقناة أخرى بابيلوخ (Pabiluh) ، وقناة أخرى أيضا باسم (A-nintu) وهناك مخروط طيني عليه كتابة مسمارية (سومرية) ورد فيه أن أورنمو قام بحفر نهر ري اسماء نناكوكال (Nanna-Gugal) عند منطقة الحدود بين أور ولكش وهناك مخروط آخر يذكر فيه حفر قناة ايتورنكال (Iturungal) للإلهة اننا. (d-Inanna). كما وعمل اورنمو على تحسين طرق المواصلات وإعادة الصلات التجارية التي تعطلت أثناء الحكم الكوتي (7).

وفاة اورنمو

أما عن وفاة الملك أورنمو فقد تضاربت الآراء حول وفاته، فهناك نص أدبي يروي وفاة الملك أورنمو بشكل طبيعي ونزوله إلى العالم السفلي ، وهناك رأي آخر يذكر أن أورنمو ربما قتل أثناء معركة مع الكوتيين الذين كانوا يواصلون إثارة المشاكل في بلاد سومر.

بعد وفاة الملك اورنمو خلفه ابنه شولجي في حكم مدينة اور حيث استمرت مدة حكمه حوالي 48 عاما مكنته من تنفيذ العديد من المشاريع العمرانية واعادة توسيع بعض المنشآت في مدن سومر وأكد وفي مقدمتها أكماه بناء عدد من المعابد والزقورات كزقورة اور نفسها وزقورة الوركاء واهتم بمدينة اريديو ومعابدها .

(7) أباذر راهي سعدون الزبيدي، نصوص مسمارية غير منشورة في المتحف العراقي من عصر سلالة اور الثالثة 2004-2114 ق.م، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، 2010، ص ص 71- 72

المراجع

- (1) رضا جواد الهاشمي, القانون و الأحوال الشخصية, ضمن مؤلف حضارة العراق، الجزء الأول، بغداد, 1984, ص418.
- (2) عبد الرضا الطعان, الفكر السياسي في وادي الرافدين و وادي النيل, مطبعة جامعة بغداد , بغداد, 1985، ص133.
- (3) أبانر راهي سعدون الزبيدي، نصوص مسمارية غير منشورة في المتحف العراقي من عصر سلالة اور الثالثة 2114-2004 ق.م، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، 2010، ص 67.
- (4) فرج بصمه جي، كنوز المتحف العراق، دار الحرية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بغداد، 1972، ص 10.
- (5) أحمد هبو، تاريخ الشرق القديم ، الجزء الثاني , بلاد ما بين النهرين (العراق)، صنعاء، 1996 ص 135.
- (6) خزعل الماجدي، الدين السومري، عمان، 1990، ص 25.
- (7) أبانر راهي سعدون الزبيدي، المصدر السابق، ص ص 71- 72 .